

تقديم مدينة مناسبة لاحتياجات الأطفال من جديد

- ◀ عندما تم انتخابه عمدة للعاصمة الألبانية «تيرانا» في عام ٢٠١٥، اكتشف إيريون فيليج أن المدينة غير مناسبة لاحتياجات الأطفال
- ◀ تم تحويل مدينة تيرانا عن طريق إنشاء ساحات لعب جديدة وإطلاق مبادرة «أيام خالية من السيارات» وتحسين خصائص رياض الأطفال
- ◀ تستغل المدينة فترات الحظر الشامل بسبب جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) لتوفير مساحات أكبر للمشبي وركوب الدراجات

إيريون فيليج

عمدة

تيرانا، ألبانيا

احتفلت مدينة تيرانا هذا العام بالذكرى المئوية لاختيارها عاصمة لجمهورية ألبانيا. وتشتهر هذه المدينة بألوانها الزاهية وأنماطها المتباينة والمتنوعة وثقافتها المختلفة، كما لديها تاريخ حافل يجسد التأثيرات العثمانية والإيطالية والسوفياتية.

كانت المدينة تشبه عاصمة كوريا الشمالية بعد انهيار النظام الشيوعي الأشد قسوة في أوروبا الشرقية، إذ بلغ عدد سكانها ١٧٠ ألف نسمة وعدد السيارات ١٧٠ سيارة مخصصة فقط لكبار الشخصيات وقيادات الحزب. أما بالنسبة إلى باقي السكان، كانوا يتنقلون مشيًا على الأقدام أو باستخدام الدراجات، ليس بسبب رغبتهم بذلك وإنما بسبب الفقر.

كان لانهايار الشيوعية أثرًا كبيرًا على البنية التحتية للمدينة والحياة الاجتماعية فيها، الأمر الذي أثر كثيرًا على طريقة تفكير سكانها ونمط حياتهم. شهدت مدينة تيرانا عملية انتقالية صعبة وتحول حضري وعمراني فوضوي، إذ انتقل العديد من الأفراد إلى العاصمة من جميع أنحاء البلاد، بحثًا عن فرص جديدة وحياة جديدة. وبعد ٣٠ عامًا من انهيار الشيوعية، أصبح عدد سكان مدينة تيرانا مليون نسمة وعدد السيارات ١٧٠ ألف سيارة.

عندما توليتُ المنصب قبل خمس سنوات، كانت المدينة مليئة بالسيارات وكانت حركة المرور غير منظمة، بالإضافة إلى انتشار التلوث والمرافق العامة المستخدمة بشكل غير قانوني، والأهم من ذلك كله، عدم وجود أي مساحات مخصصة للأطفال. وطوال ٢٥ عامًا من الديمقراطية، كانت فئة الأطفال مُهملة وغير مشمولة في أي خطة أو سياسة للنمو الحضري. لقد كانت فكرة إنشاء بنية تحتية مناسبة للأطفال في مدينة تشهد نموًا حضريًا سريعًا وزيادة كبيرة في عدد السكان مع فرض قيود صارمة على الميزانية خطوة جنونية، حيث كانت تتطلب أفكارًا مبتكرة وإبداعية للتشجيع على تنفيذها.

وكانت الخيارات محدودة في ظل تلك الظروف. بدأنا العمل على إنشاء بنية تحتية مناسبة للأطفال باتباع نهج إحدات «التدخلات العمرانية» الدقيقة، الأمر الذي أتاح لنا فرصة إحدات تغييرات صغيرة يمكن أن تحفز التأثيرات الاجتماعية الكبيرة. وكان ربط حس الملكية بعملية تحول المدينة خطوة محورية للتصدي للسلوك اللامبالي الذي كان شائعًا بين سكان مدينة تيرانا.

لقد أدركنا منذ اليوم الأول من تولي المنصب أنّ مستوى البنية التحتية المناسبة للأطفال سيء، لكننا لم نتمكن من تقدير الوضع الفعلي إلا بعد تجربة ظروف رياض الأطفال في المدينة شخصيًا. لقد كان الوضع سيئًا للغاية، إذ كانت رياض الأطفال تشبه زنازانات السجون، وهذا سبب انتشار أعمال العنف والتصرفات السيئة وإلقاء القمامة في الشوارع. لقد اكتشفنا عن غير قصد أننا نعيش في مدينة لا تهتم بالأطفال ولا تمنحهم القدر الكافي من الحب والعطف.

من حملة تهدف إلى «تحسين خصائص رياض الأطفال» إلى مبادرة «أيام خالية من السيارات»

بعد فترة قصيرة من ذلك الاكتشاف، نظمنا حملة واسعة النطاق تهدف إلى «تحسين خصائص رياض الأطفال» في مدينتنا، ودعونا الشركات والمصممين والممارسين والطلاب وجميع الجهات التي لديها القدرة والرغبة في تقديم المساعدة. وخلال وقت قصير، نجحنا في تحويل رياض الأطفال في مدينتنا إلى مساحات مفتوحة مفعمة بالألوان والديكورات الزاهية وجميع وسائل الراحة المطلوبة. ولأن مستويات التجاوب معنا كان مذهلة، قررنا اتخاذ المزيد من الإجراءات لاستغلال جميع المساحات في رياض الأطفال والمدارس، والتي كانت مُستخدمة كمواقف للسيارات.

لمزيد من المعلومات حول «التدخلات العمرانية»، يرجى زيارة الموقع الإلكتروني: www.arup.com/perspectives/urban-acupuncture

ومع إدراكنا بأن نمو الأطفال وتطورهم المعرفي والسلوكي مرتبط بالأنشطة الخارجية، قررنا التركيز على الملاعب والحدائق وإمكانية الذهاب إلى تلك الأماكن. وكانت هذه فرصة لتحسين مستوى رفاة الأطفال عن طريق السماح لهم بتجربة أنشطة متعددة في المدينة والتواصل مع العالم من حولهم.

وقد دفعنا ذلك النجاح إلى بناء المزيد من الملاعب في جميع أنحاء المدينة وفي كل مساحة كانت تُستخدم كمواقف للسيارات، كما بنينا 6٠ ملعبًا جديدًا، ليصبح كل حي من أحياء المدينة يحتوي على منطقة مخصصة للأطفال.

والأمر الذي يثير الدهشة، أنّ هذه الملاعب أصبحت ملاذًا لكبار السن والآباء والأمهات الشباب إلى جانب الأطفال. حيث يستخدمها كبار السن كأماكن ترفيهية، ويستغل الآباء والأمهات الشباب هذه الفرصة للشعور بالمزيد من الاسترخاء وإنجاز أعمالهم في الوقت الذي يلعب به أطفالهم في الهواء الطلق. وحرصًا منا على تنفيذ المزيد من التغييرات في هذا الصدد، أطلقنا مبادرتين بعنوان «أيام خالية من السيارات» و«تنظيف تيرانا في يوم واحد». اعترض العديد من الأفراد على هذه المبادرات مرة أخرى، لكننا كنا مستعدين لذلك هذه المرة، فقد حصلنا على دعم أفضل حلفائنا: الأطفال. وبالفعل، لم يخذلونا. فقد شاركوا كالمعتاد بكامل طاقتهم في هذه المبادرات للاستمتاع بيوم بدون سيارات

والمساعدة في تنظيف المدينة. ونتيجة لتأثيرهم الكبير على عملية التغيير، أصبح الأطفال أكبر جهة داعمة لنا في تحويل تيرانا إلى مدينة مناسبة للأطفال.

عمدة مدينة تيرانا، إيريون فيليج، في أحد الملاعب الجديدة في المدينة



وفي يومنا هذا، أصبحت مدينة تيرانا تقدم الكثير من الخدمات للأطفال. فقد حوّلنا ميدان إسكندر بيك إلى ميدان مخصص للمشاة فقط. إذ تحوّل ميدان مخصص للسيارات بمساحة تصل إلى ٤٠,٠٠٠ متر مربع إلى أكبر ساحة لعب في مدينة تيرانا، حيث يمكن للأطفال الاستمتاع بيوم خالٍ من السيارات في أي وقت وضمن بيئة أقل تلوثًا. كما نعمل حاليًا على إحاطة مدينة تيرانا بحزام أخضر مكون من مليوني شجرة، وسيكون له دورًا كبيرًا في معالجة المشاكل البيئية للمدينة.

تاريخ إنشاء مدينة مرنة

انضمنا قبل أربع سنوات إلى إطار عمل مشروع المدن الخضراء، ووضعتنا خطة عمل المدينة الخضراء لمدينة تيرانا بالتعاون مع البنك الأوروبي لإعادة الإعمار والتنمية، وبناء على قياساتنا، يبلغ عدد رحلات السيارات في تيرانا ٨٠٠,٠٠٠ رحلة يوميًا، منها ٤٠٠,٠٠٠ رحلة ضمن مسافة ٥٠٠ متر. وقد زادت هذه الأرقام الكبيرة من تصميمنا على حل مشكلة استخدام السيارات بشكل كبير، واستغلال المساحات العامة لبناء المزيد من الملاعب وحدائق الصغيرة، وتوسيع الأرصفة وتخصيص مسارات للدراجات وابتكار «الأيام الخالية من السيارات».

وقد شكلت هذه الخطة أساس تحسين نوعية البيئة المحيطة والصحة ومستوى رفاهية أطفالنا وعائلاتهم. لقد أدرك الناس أثناء جائحة كورونا أنّ تلوث الهواء في المدينة أصبح أقل، وأصبحت المدينة أكثر هدوءًا وأمانًا دون السيارات. كما أدركوا أنّ السيارات هي من أهم عوامل التلوث في أي مدينة لا تحتوي على الصناعات الثقيلة،

وهي العدو الحقيقي ليس لهم فحسب، بل لأطفالهم أيضًا. كما أدركوا أنه بإمكانهم الذهاب إلى الأماكن التي تبعد عنهم مسافة كيلومتر واحد تقريبًا بطريقة صحية عن طريق المشي أو ركوب الدراجات مع أطفالهم. لقد تعلم الناس درسًا مهمًا آخر من جائحة كورونا. إنّ ما يجعل المدن قادرة على الصمود في مواجهة الأزمات ليس الثروة والسلطة، إنما المعرفة والوحدة. ومن خلال استثماراتنا السابقة في تحسين رياض الأطفال وبناء الملاعب

وتوسيع الأرصفة وتخصيص مسارات للدراجات بالتعاون مع المواطنين، فقد بدأت مدينة تيرانا بالفعل رحلتها الاستثنائية نحو تحويل البنية التحتية التعليمية للأطفال وطريقة تفكيرهم. وتحولنا من اتباع نهج إحدث «التدخلات العمرانية» الدقيقة إلى إعداد خارطة الطريق التي تحدد مستقبل المدينة. وتغيرت مهمتنا فجأة من جعل المدينة مناسبة للأفراد بشكل عام إلى جعلها مناسبة للأطفال بشكل خاص.

على الرغم من عدم انتهاء هذه الجائحة حتى الآن وما زالت الشوارع خالية من السيارات، إلا أننا نعمل بجد لاستغلال هذه الفترة من أجل توسيع الأرصفة وتخصيص مسارات للدراجات. كما تقوم مدينة تيرانا بتطوير تسعة مناطق جديدة متعددة المراكز لإعادة التوازن إلى الكثافة السكانية في المدينة وتزويد كل منطقة بمدارس جديدة ورياض أطفال وحدائق وملاعب. والهدف من ذلك هو تجميع الخدمات الأساسية ضمن مسافة كيلومتر واحد ليتمكن الأفراد من الوصول إليها مشيًا على الأقدام. والأمر المثير للاهتمام أنّ كافة المشاريع الحضرية في تيرانا تبنى مفاهيم «Urban90» و«8٠ to ٨٠»^١ لتصميم البنية التحتية بما يتناسب مع احتياجات الأطفال.

إذا لم يكن الأطفال قادرين على الذهاب إلى الأماكن المفضلة لديهم مشيًا على الأقدام أو بركوب الدراجات مع الحفاظ على سلامتهم، فهذا يعني أنّ البنية التحتية غير مناسبة لهم. ونتيجة لذلك، فإننا نعمل مع الرابطة الوطنية لمسؤولي النقل في المدن في الولايات المتحدة (NACTO) ضمن مبادرة تصميم المدن العالمية لتنفيذ برنامج مخصص لتصميم وبناء شوارع آمنة للأطفال. وبالتعاون مع مؤسسة التنمية الألبانية الأمريكية، تم تحويل هرم تيرانا- رمز الشيوعية- إلى «كندراثية تعليمية»، لتكون من أحدث مواقع مركز تومو للتقنيات الإبداعية. سيوفر هذا المركز الجديد مساحة عامة أكبر للأطفال لإتاحة الفرصة للتواصل الاجتماعي والحصول على تعليم جيد من خلال مجموعة من البرامج التي تشمل تدريس أساسيات تقنية المعلومات والترميز.

نطمح دائمًا إلى إنشاء مدينة مناسبة لأطفالنا، حيث يمكنهم اعتماد نمط حياة صحي وحيوي، وإتاحة الفرصة لهم للازدهار والنمو ليصبحوا أفرادًا بالغين قادرين على مواصلة مسيرة التحول في مدينة تيرانا على مدار ١٠٠ سنة قادمة. إننا ندرک تمامًا عدم قدرتنا على تحقيق هذا الطموح بأنفسنا دون مساعدة الوالدين. وفي هذا العالم الذي يشهد أحداثًا حافلة، من المهم أن يركز الوالدان على أولوياتهم وموازنة مسؤولياتهم وتحديد الاحتياجات الفعلية لأطفالهم- ونحن نعمل على تحقيق ذلك أيضًا. إذ صمّمنا مبادرات فعالة لتحويل الوالدين إلى «زملاء صف» يساعدون أطفالهم في إتمام واجباتهم المنزلية المطلوبة منهم. كما تعمل البلدية على إعداد دليل «التربية الجيدة» لمساعدة الآباء والأمهات الشباب في تعليم وتربية أطفالهم الصغار بطريقة مسؤولة.

«لقد أدرك الناس أثناء
جائحة كورونا أنّ تلوث
الهواء في المدينة أصبح
أقل، وأصبحت المدينة
أكثر هدوءًا وأمانًا دون
السيارات.»

في عام ٢٠٥٠، سيصبح عمر الأطفال الذين يولدون اليوم ٣٠ عامًا- وسيكونون مستعدين لإدارة مدننا. وستؤثر طريقة تربيّتنا لهم وتعليمهم على قدرة مدينة نيرانا على التكيف على مدار ١٠٠ سنة قادمة. يُعدّ بناء وتصميم مدينتنا بحيث تكون مناسبة للأطفال مخطّطًا يحدد مستقبلنا. كثيرًا ما أقول أنّ أهم مشروع للبنية التحتية للتغيير في أي مدينة ليس بناء جادة أو مبنى كبير، فنحن نعرف كيفية القيام بذلك، ولكن، تكمن الصعوبة في تغيير طريقة تفكيرنا وعقليّاتنا، فالمستقبل مُلْكٌ للأطفال.

يمكنك قراءة المقالة كاملة عبر النقر على earlychildhoodmatters.online/2020-4